آيات ص ٥٥

الرسيفات

BRADYPODIDÆ

التدييات إحدى آيات الخلق الحيواني البالغة . والرسيفات من أخص ما يدلك على ما في التدييات من آي الخلق . والرسيفات في عرف التواليديين فصيلة Family من قبيلة Order تعرف في تصنيف الحيوان باسم الدَّرْدَاوات Edentata ، وهي طبقة من الطبقات العليا في تبويب ذوات الثدي . والمصطلح اللاطيني الدَّال على هذه القبيلة بمعنى « فاقد الأسنان » ، غير ان هذا الاصطلاح غير تام الدَّلالة على المقصود منهُ . ذلك بأن قليلاً من الحيوانات التي تشملها هذه القبيلة فاقد الأسنان فعلاً . ولكن المصطلح العربي أقرب إلى المقصود ، بل يؤدي المقصود تماماً . فالدَّرْد : ذهاب الاسنان ، وناقة دَرْداء لحقت أسنانها بدَرْدَرِها (القاموس ١ : ٢٩٢) فقيه المعنيان

ومن أجل أن يكون كلامنا عن الرسيفات بيِّناً ينبغي لنا أن نعرف ان الدَّرْدَاوات من التدييات المشيمية ، وعنها التواليدي « جل » بمشيرة تمثلها Eudeutabilia ، وقد أطلقت عليها اسم « القَدَمِيَّات » وشتت من التدييات في اعتباره قاتل ثلاث هي الخفاشيات والقواضم والدَّرْدَاوات . وتمتاز هذه العشيرة بصغر الدماغ بحيث يكون جزء كبير من الرَّنَح (المخيخ) والاعصاب أو الفصوص الشَّمِّيَّة غير مغشى بأجزاء الدماغ

وليس الكلام في الرسيفات بحديث في اللغة العربية فقد ذكرها غيري من الكتَّاب ، وسميت من قبل « الكَسْلان » تدلالة على الفرد الواحد من هذه الحيوانات . غير اني لم أجد في هذه المادَّة ما يدل على شيء من تأويل الاسم العلمي لهذه الفصيلة . فان الاسم العلمي مولد في اللاطينية وأصله من كلمة يونانية مركبة من لفظين : الأول معناه « بطيء » ، والثاني معناه « قدم » . ومعناه الحرفي « بطيء القدم » ، وتأويله « بطيء الخطو » . أما المصطلح العربي فمن الرَّسَف اي المشي في القيد ، وهو الرسيف (المخصص ١١١ : ٣) والرسيفات جمع مؤنث سالم من « رسيف » ، وهي صيغة أخترتها للدلالة على الفصيلة في تصنيف الحيوان ، فاذا

أردنا التسمية [illegible] قلنا الرسيفية، وإذا [illegible] الجنس قلنا الرسفة [illegible]، فإذا أردنا النوع عيناه بصفة فقلنا الرسيف الأغبر أو الرسيف المطوق وهكذا. واتباع هذا النمط ضروري في تصنيف الحيوان

* * *

من الأنواع المثالية التي تتضمنها هذه القصيلة نوع يعرف في اللسان العامي باسم « الرسيف الثلاثي الأصابع » Bradypus tridactylus ويعرف في مراعيه باسم « الأي » [illegible]، وقد أخذت صفته المميزة للنوع (اي الثلاثي الأصابع) من صفة عضوية فيه إذ أن له ثلاثة أصابع في كل من يديه ورجليه. ومن الصفات المميزة فيه أن أسنانه واصفة اي أنها بارتفاع واحد، فلا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ذلك في حين أن الضواحن أن ساوت الاسنان من حيث الرسف فإنك تجدها مكاسة شديدة التكاس، بمعنى انها اشبه بالكاس من حيث تحوفها. ومن أين الخصائص التشريحية التي تشهدها في جنس الرسيفات جميعاً، أن فقارات العنق تسع بدلاً من سبع، وهو العدد السوي في بقية اجناس القصيلة، ومعنى هذا تركيبياً أن الفقارة العاشرة تُعَدّ من الرأس هي التي يتفرع منها الضلعان الأوليان بحيث يتداوران مع القص (عظم الصدر)، في حين ان الفقارة التاسعة، وقد يحدث ان تكون الثامنة أيضاً، قد تحمل كل منهما ضلعين طليقين. ومعنى انهما طليقان ينحصر في انهما لا يتصلان بعظم الصدر

والجنس الرسيفات يضم أنواع تختلف من حيث اللون او في طول الشعر على الوجه. ولونها في العادة منتسق، غير أنه يحدث ان يكون لبعضها شعاب داكن فوق الكتفين. ويقطن « الأي » المناطق الحافة من الغابات عادة. ولكن هنا أنواعاً يكثر وجودها في المناطق التي تغشاها المياه على الدوام

وقد لاحظ الواليدي « باتس » أن الهنود يطلقون على « الرسيف الثلاثي الاصابع » اسم « الأي السهلي » أي « رسيف السهول » تمييزاً له من الرسيف الأغبر Bradypus infuscatus الذي يطلقون عليه اسم « الأي الأجمي » اي « رسيف الأجمات » والمقصود بالهنود هنا هنود اميركا الحمر

وقد روى بعض الجوالين في أميركا الجنوبية أن الذي يرى الرسائف في مواطنها الاصلية يلحظ فيها من النشاط ما ينفي عنها صفة الكسل التي ألصقها بها بعض الكتاب. فان سكان مناطق نهر الأمازون، الهنود الاصليون منهم وأعقاب البورتغاليين على السواء، يؤيدون الفكرة السائدة عن هذه الحيوانات، ويعتقدون أنها رمز الكسل والتثاقل. غير أنه من المناظر العجيبة

أن الرسائف ، وليدة تلك الرجات الظالمة الساكنة التي تنتقل من غصن الى غصن ، فان كل حركة من حركاتها بل كل سكنة من سكناتها انما توحي اليك ، انصمت به من الحذر الشديد والطريقة البالغة . تلك الصفة التي كانت سبباً فيما وصفت به من كسل وتثاقل وبلادة . فان الرسيف لن يخرج من قبضته غصناً تشبث به ، من قبل أن يتمكن ويوقن بأنهُ استمسك من غصن آخر . فاذا أعوزه الدور على ما يتشبث به من الفروع والسالبج الصلبة التي يتشبث فيها كلاليبه المخلبة رفع جسمه معتمداً على رجليه الخلفيتين ، باحثاً عن شيء يتشبث به . ولن يتشبث بشيء الاَّ بعد أن يمتحنه ويوقن بأنهُ سناد قوي

والرسائف ليلية العادات . فاذا تحركت أو حاولت أن تتناول غذاء ، تعلقت بأرجلها وتدلت برءوسها . أما اذا غلب عليها النوم وشعرت بالحاجة الى الراحة تكرَّت (أي التفت كرة كاملة) واضعة رأسها بين ذراعيها . وهي من حيث ذلك أشبه القطاط Potos بين الصعابير Lemurs . فاذا مررت بتلك الكرات معلقة في الاشجار لم يخيَّل اليك أنها حيوانات تدب وتتحرك ، وانما يخيل اليك أنها درنات عظام لصقت بالفروع ، ورزت منها

وتعيش الرسائف أزواجاً في الغالب ، ولكن لا يندر أن تعيش في أسر أو جماعات . وهي وديعة لينة الخلق بعيدة عن الاذى والشر . وغذاؤها الرئيسي أوراق الاشجار والفريعات الندية والفواكه . وهي تجتزىء بما في هذه المواد من الرطوبات عن الماء

ومن العجب أن نرى جنساً من الحيوان يعشق نوعاً بعينه من الشجر ويفضل الاقامة به والعيش في ظلاله . فان الرسائف تهوى جنساً يعرف في اللسان العلمي باسم قسقر وفيا Cecropia. أما في داربان وفنزويلا فان الرسائف على ما يقول ثقة من المواليدين تخلد الى شجر القفروفيا ولا تغادره ، وأنها تفضل بالاخص نوعاً منهُ يقال له : Cecropia peltata . وأشجار هذا النوع يتفاوت ارتفاعها بين ١٦ و ٢٢ قدماً وجذوعها نحيلة ، وأغصانها وفريعاتها قليلة ، ولكنها حيث ينتهي امتدادها تحمل خُصَلاً من الاوراق الفضة الندية . ولا تنمو هذه الأشجار في غير الوديان المفتوحة . وفي هذه الأشجار تعيش الرسائف متفرقة بين أغصانها ، فاذا كان النهار تمطت مستمسكة ، او تكرَّت تأخذ قسطها من النوم . فاذا جنَّ الليل تسللت في جنبات الغاب تسعى الى رزقها

اذا جلس الرسيف جلسة اعتدال انثنت منهُ الرأس نحو الصدر ، وتشبث الرجلان واليدان بجذع الشجرة ، حتى يحتفظ الجسم بوضع رأسيّ . هذا على قول المواليدي « سيتز » — Seitz ولكن يقال ايضاً ان الرسائف لا تتدلى من الأشجار ورءوسها الى أسفل الاَّ اذا ابتغت الحركة أو طلبت الغذاء . ولقد اخطأ الذين قالوا بأن الرسائف تقضي أكثر عمرها منكسة.

وانها لا تنام في هذا الوضع ، وبخاصة اذا كانت في الأشهر ، الا لأنها لا تجد سنادة صالحة لأن تتخذ بواسطتها الوضع الطبيعي

وتفسق الرسائف جذوع شجر المشمش وغيرها بسهولة وسرعة ، بأن تحضنها لافة أذرعها من حولها . فاذا أكلت ما في شجرة منها من الأوراق والأماليد الغضة نزحت عنها بأن تتخذ لها سبيلاً فوق الأرض حتى تصل الى جذع شجرة أخرى . فاذا رأيتها تدرج على الأرض رأيت عجباً . رأيتها تعتمد على أجدى ذراعيها ، ثم تمد الآخر جهد ما يتيسر لها ان تمده حتى يعثر مخالبها بعجوة أو شيء تتخذه موضع ارتكاز ، فاذا تشبثت به جرّت جسمها اليه جرًّا ، فتدرج الى الأمام . وقد ذكر أحد الثقات ان رسيفاً استطاع بهذه الوسيلة في ليلة واحدة مداها سبع أو ثماني ساعات ان يقطع مسافة قدرها خمسمائة ياردة

والظاهر أن حسن السمع في هذه الحيوانات غير مكتمل أما عيونها الحمر الصغيرة المعبرة عن البلادة والخمول فلا تدل على انها حسنة الابصار . وفي الحق انك اذا نظرت الى رسيف وركزت بصرك في عينه فان انطفاءها وكدرتها توحي اليك بأنه حيوان مكفوف . ولا يعد الرسيف غير فرد واحد . فاذا خرج الى هذا العالم ألفتهُ مكسوٌّ بشعر كثيف ، ورأيت مخالبه نامية ، هو مخالب الأفراد البالغة بالقياس الى حجم البالغ والوليد . والفائدة التي توختها الطبيعة من ان يولد الرسيف نامي المخالب هي ان يتخذ منها وسيلة للتشبث بشعر أمه لافا ذراعيه من حول عنقها

وأهم المظاهر الحيوية في الرسائف انها تطيق الحرمان من الطعام أوقاتاً طويلة . كما انها تحتمل من الجراحات والاضرار البدنية ما لا يقوى عليه غيرها من الحيوانات العليا . وهي كذلك لا تألم ولا تتأذى اذا هي جرعت مقادير من السم ، تفضي الى موت غيرها من حيوانات أكبر منها حجماً . وقد أسر رسيف ثلاثي الأصابع ونقل الى بلدة « تيورين » حيث ظل بلا طعام شهراً كاملاً ، فلم يظهر عليه من أعراض ذلك الصوم الطويل شيء يمكن أن تحس به ورقاً حيويًّا فيه بين أول الصوم ومنتهاه

عامة هذه الظواهر تدلنا على ان الرسائف حيوانات دنية في سلم الطبقات الحيوانية . ذلك بأن الزواحف مثلاً تحتمل من مشقات الحياة ما لا يحتمله الثديات العليا . وكلما كان الحي أدنى تكويناً كان أشد احتمالاً وأصبر وأجلد على المشقات وأقدر على مقاومة الأذى والحرمان

* * *

ومن الرسيفات جنس آخر سمته في العربية « الأقزل » ويطلق عليه في مرابيه اسم « الشوّة » . أما الأقزل و(مفردها الأقزل) فاسمه وصفته يقابل المصطلح العلمي الذي أطلقه

الموالديون على هذا الجنس اذ سموه Choloepus ، وهو مصطلح مولد في اللاطينية ، وأصله من لفظين يونانيين الأول معناه «أعرج» والثاني معناه «قدم» ، أما شاهدنا على المصطلح العربي فمن المخصص (٢١١١ : ٣) عن ابي عبيد : عَشْزَرَ يَعْشِزِ عَشْزَراً : وهي مشية المقطوع الرجل ، وقزل يقزل مثله ، وهو الأقزل ، والقزل أسوأ العرج . اه . أما الاسم الدارج «الصوة» (ج الصوات) فتعريب وضعته ليقابل الاسم الاهلي لهذا الجنس (Unau)

ولهذا الجنس نوعان على الأقل ، من أبين خصائصهما ان لها أصبعين اثنين عاملين في كل من القدمين الأماميتين ، يحلان في اليد الانسانية الابهام والوسطى . أما القدمان الخلفيتان ففيها ثلاثة أباخس كباقي جنس الرسيف . ولعل القارىء يسأل ما هي الأباخس ؟ فانه اصطلاح جديد استعملناه ليدل على أصابع القدمين (Toes) تمييزاً لها من أصابع اليدين (Fingers) ومفردها على القياس « أبخس » . فان الباحث في علم المواليد يضطر الى التفريق بين هذه وتلك في كثير من مواضع بحوثه

ومن الظواهر البينة في هذا الجنس تركيب أسنانه . فان الزوج الأول منها في كلا الفكين يكون أطول وأمتن مما يليه ، ويفصل بينه وبين بقية الأسنان فرجة كبيرة . أما بقية الأسنان فلها صفات الأبابب ، وترى قمتها وقد حُنِّدَت منحرفة بالتآكل من كثرة الاحتكاك بعضها ببعض . ولعلك ترى في أسنانها صفات لا تجعل لها صفات الأبابب (canines) أو العاج (tusks) التي لبقية الثدييات . ذلك بأن الأسنان النحتية (أسنان الضَّبَّة) تمضُّ من خلف الأسنان الفوقية (أسنان الحَكَمَة) لا من أمامها

والنوع الأول من نوعي الأقازل ويسمى في الكلام الدارج « الصوة العادي » وفي اللسان العلمي « الأقزل ذو الأصبعين » ليس له من فقارات الرقبة سوى سبع على الضد مما لأقزل هوفمن فان له ستًّا فقط . والنوع الأول من هذين يستوطن البرازيل ولا يجور عنها ، في حين ان الثاني يمتد انتشاره من إكوادور الى كوستاريكا . ويخرج أقزل هوفمن صوتاً هو أشبه بثغاء الشاة . أما من حيث العادات فان الأقازل تشبه الرسائف في كثير منها

***

والرسيفات أسلاف بائدة ، تعرف في مباحث التاريخ الطبيعي باسم « الرسائف الأرضية المنقرضة » ، وقد أفرد لها المواليديون فصيلة أطلقوا عليها اسم Megalotheriidae او Megatheriidae ، ووضعت لها في العربية اسم الكَبْهَسِيَّات نحتاً من مدلول اللفظين اللذين يتركب منهما الاسم الاصطلاحي الفرنجي . فانه مولد في اللاطينية ، وأصله من لفظين يونانيين : الأول (megas) او (megal) ومعناه كبير والثاني (therion) ومعناه بهيم : وتأويل

النحت : ك ب ي ر ب ه ي م = كَبْهَتَم ، والفصيلة الكَبْهَتِيَّات . كانت الكبهيات كثيرة الذيوع في أميركا الجنوبية . وبحثها استطاع الواليديون ان يتبنوا الآصرة التي تربط بين الرسيفات وبين النَّمَّانيَّات (او أواكل النمل)

وأعظم أجناس هذه الفصيلة البائدة جنس يسمى علميًّا «الكبم» ، بلغ من عظم الجثة وضخامة البدن مبلغ الفيل . والى جانب هذا الجنس الكبير ثلاثة اجناس اخرى . الاول السِّنَّاهم (م : سَنْهَم) (Glossotherium) ووضعت له هذا الاسم من العربية بالنحت من مدلول اسمه الاصطلاحي الافرنجي . فانهُ مولد في اللاطينية واصله من لفظين يونانيين الاول glossa اي لسان ، والثاني (therion) اي بهيمة : وتأويل النحت : ل س ١ ان ٢ + ب ه ٣ ي م ٤ = سَنْهَم (ج : السِّنَّاهم) ، والثاني الطَّحونات ، (Mylodon) وأصله من لفظ يوناني حديث (mulodous) ومعناه سن طاحن او ضرس ، من (mulv) اي طاحونة و (oduus, odont) اي سن . والمصطلح العربي وزان فَعُول من الفعل طَحَنَ ، ومفرده الطحُون . والثالث الجَلاهم (م : جَلْهَم) (Sclelidutherium) وهو اسم وضعتهُ بالنحت من مدلول المصطلح الافرنجي ، فانهُ مولد في اللاطينية وأصله من لفظين يونانيين : الاول (skelis) أو (skelid) ومعناه « رِجْلٌ » والثاني (therion) ومعناه بهيمة ، وتأويل النحت ـ رج ١ ل ٢ + ب ه ٣ ي م ٤ ة = جلهم

ولكل من هذه الاجناس صفات تميزه ، قد لحظها الواليديون في البقايا المستحاثة التي عثروا عليها وبخاصة في اسنانها . اما الشأن الاول من حيث القيمة العلمية فنوع من جنس السِّنَّاهم يعرف علميًّا باسم « السِّنَّهم الدَّرْوِيني » (Glossotherium darwini) ، اذ عثر على جزء من جلده محفوظًا في كهف يعرف عند الجغرافيين باسم « التيا إسبيرانزا » بجنوب باتاغونيا . وقد وجد أن هذا الجلد يكسوه من الخارج شعر طويل كث خشن ، يشبه الى حد كبير جلد الرسائف العائشة اليوم . أما وجهه الداخلي ففيه ظاهرة غريبة هي أنهُ مبثوث بعقد مُلْس صغيرة من العظم . ولقد عثر في عظام جنس الطَّحُون على عقد أشبه بهذه . ولكن هذه العقد كانت منحوتة من احد جوانبها فرجح الباحثون أنها كانت خارجية لا داخلية شأن العقد التي وجدت في جلد السِّنَّاهم . ولقد اتضح أيضًا أن الجلد والعظام التي عثر بها في باتاغونيا قد دفنت في مادة خاصة وأن العظام قد قطعت بأداة حادة ، مما يدل دلالة قاطعة على أن الرسائف الارضية المنقرضة قد قطنت الكهوف مع الانسان الاول ، وان الانسان دجَّنها وأنَّسها في عصر من عصور تاريخه الطويل